

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثانية - العدد السابع - خريف ١٣٩١ش / أيلول ٢٠١٢م

تاريخ البيهقي والتغيير الصوتي والدلالي لمفردات العربية فيه

محمد جنتي فر*

على رضا محمدرضائي**

نيرة نظريا***

الملخص

لقد كانت دراسة العلاقات التاريخية والثقافية للغة والآداب القومية في علاقاتها باللغة والآداب عند الشعوب الأخرى من القضايا المهمة والمنظورة منذ القدم. إن مجالات هذا التأثير المتبادل يمكن أن تتناسب مع قضايا اجتماعية وثقافية ودينية وأدبية ولغوية مختلفة.

تناول هذه المقالة المجال اللغوي ولاسيما مجال التعامل بين اللغتين العربية والفارسية. إن اللغة العربية باعتبارها لغة المبدأ (الأصل) جعلت أساليب اللغة المقصودة أي اللغة الفارسية ولاسيما في مجال المفردات تواجه تحولات وأزمات، كما تناولت هذه الدراسة بأسلوب وصفي - تحليلي وتاريخي التغييرات الصوتية والدلالية للمفردات العربية في تاريخ البيهقي، وهذا الموضوع يمكن أن يكون مفيداً ونافعاً لبحوث علم اللغة ومقارنتها.

الكلمات الدلالية: علم اللغة، اللغة العربية وآدابها، المفردات العربية، الآداب العربية، الآداب المقارنة، تاريخ البيهقي.

*. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية في قم، إيران.

** . أستاذ مساعد بجامعة طهران - برديس قم، إيران.

*** . ماجستير في اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية في قم، إيران.

amredhaei@ut.ac.ir

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادي نظري منظم

تاريخ القبول: ١٣٩١/٨/٨ هـ . ش

تاريخ الوصول: ١٣٩١/٢/١١ هـ . ش

المقدمة

يمكن اعتبار القرن الرابع قرناً بقيت فيه اللغة الفارسية مصونة من هجوم اللغة العربية تقريباً بحيث إنها حفظت أصالتها، ولكن بعد نفوذ دين الإسلام وزيادة انتشار الآداب والأحكام الدينية فإن المفردات والمصطلحات الشعرية أيضاً تسربت إلى لغة الناس شيئاً فشيئاً. إن تعريب ديوان الرسائل وسيطرة كتاب العرب أدى إلى ظهور أسلوب وموجة أدبية جديدة في المجتمع. وأصل هذه التحولات ينبغي البحث عنه في عوامل مختلفة كالعوامل السياسية والاجتماعية، والتكامل الذاتي للنشر من البساطة إلى التعقيد، وتسلاط الشعر على المجالات الأدبية والتنوع في العلوم البلاغية. وإذا ألقينا نظرة على الكتب المعروفة والآثار المنثورة فإن هذه التغييرات تظهر لنا بشكل ملموس ومحسوس في القرن الرابع؛ فإن كتباً مثل "شاهنامه أبو منصور"، أو "ترجمة وتفسير طبري" وكذلك كتاب "الأبنية عن حقائق الأدوية" لموفق الهروي تبعد عن استعارة المفردات العربية؛ فنثرها بسيط ومرسل وخال من أي صناعات وقبوض وتصنع.

وفي القرن الخامس يستمر الوضع على هذا المنوال؛ فإذا نظرنا في كتاب "التفهيم" لليروني و"دانشنامه علائي" لابن سينا فسرى هذه الظاهرة جلية واضحة، حتى يصل دور "تاريخ گردیزی" و"تاريخ البيهقي" و"سير الملوك" أو "سياستنامه" للخواجه نظام الملك و"زاد المسافرين" و"خوان الإخوان"، وكلاهما لناصر خسرو، و"كشف المحجوب" للهجویری، والتي يشاهد فيها جميعاً علامات بارزة على التغيير بشكل واضح.

إن القرن الخامس الهجري يحظى بأهمية خاصة من الناحية التاريخية؛ فقد أتت إلى السلطة حكومات مستقلة في إيران واستقلت؛ ولكن الأتراك والمغول في الطريق ليحلوا محل العرب. وأثناء فترة عدم الاستقرار حيث كانت الحكومات السياسية في إيران تتجه نحو الثبات، كانت هناك رسالة أخرى على عاتق المؤرخين ومن بين أولئك أبو الفضل البيهقي بتاريخه المشهور.

إن وجود مؤسسة مثل ديوان الرسائل يشير إلى أن تأثير اللغة العربية في الطبقات السياسية والاجتماعية والإدارية عميق ولافت للنظر أيضاً. وكانت البيئة اللغوية والاجتماعية آنذاك تقتضي أن تكون اللغة العربية حاضرة في جميع المستويات اللغوية.

ودراسة تاريخ البيهقي وكذلك الظروف الاجتماعية والثقافية بشكل إجمالي يودى إلى وضوح هذا الموضوع وشفافيته بشكل أكبر. فالبيهقي مثلاً كان عارفاً بالعربية وكاتباً بارعا واستخدم الأمثال والأشعار والآيات والمأثورات. إن البيهقي من خلال علمه الغزير بالعربية وذاكرته المشحونة بالأمثال والآيات جعل نثره أكثر جذابية وجمالاً. فعلم البيهقي بالعربية لم يجعل نثره فنياً بعيد المنال، بل إنه نثر جميل ورائع، وهذا النثر السهل، الكثير المجاذبية والفصيح هو الذى يخرج تاريخه إلى رواية شائقة ذات أسلوب قصصى. كان النصف الثانى من القرن الخامس من الناحية الأدبية جسراً ربط النصف الأوّل من هذا القرن بالقرن السادس. (خواند مير، ١٣٥٥ش: ٧٨) وأهم مظهر لهذا القرن هو كتاب تاريخ البيهقي حيث يمثّل أكمل وثيقة لعصر السّلطان مسعود الغزنوى وأدق مصدر عنى بتفاصيل الأحداث والوقائع. فهذا الكتاب له جذّابية وفصاحة خاصّة، وقد لقى من الاهتمام ما لم يلقه كتاب آخر فى هذا العهد.

ولد أبو الفضل البيهقي سنة ٣٨٥ق فى قرية حارث آباد من توابع بيهق. درس العلوم التمهيدية والأساسية فى سبزوار ثمّ المراحل اللاحقة فى نيشابور التى كانت آنذاك من المراكز المهمّة للعلم والأدب، ثمّ دخل ديوان الرسائل للسّلطان محمود الغزنوى وتولى الكتابة. (ياحقّى، ١٣٧٣ش: ٩-١٣) كان البيهقي كغيره من كتّاب البلاط بارعا فى اللغة العربية، والتحاقه بديوان الرّسائل يدل على براعته وطول باعه فى الأدبين العربى والفارسى معا.

تلمذ البيهقي عند الخواجة بونصر مشكان رئيس ديوان الرّسائل لمدة ١٢ سنة ... وكانت تجربة حضوره لمدة ١٩ سنة إلى جانب مشكان جعلت من البيهقي كاتباً دقيقاً حسن الذّوق. (بيهقى، ١٣٨٣ش: ١٣٠) بعد وفاة بونصر صار أبوسهل الزّوزنى رئيساً لديوان الرّسائل وحيث أنّ أبا الفضل البيهقى - وعلى حدّ قوله - كان يراه خبيثاً فإنّه قدّم استقالته للأمير مسعود، إلّا أنّه رفض استقالته. (بيهقى، ١٣٨٠ش: ١٩٦) وبعد السّلطان مسعود أيضاً ظلّ محترماً فى ديوان الرّسائل حتّى زمن حكم عبد الرّشيد، وفيه احتمل تبعات رئاسة ديوان الرّسائل؛ إذ إنّه سجن إثر سعاية البعض وبعد إطلاق سراحه امتنع عن قبول أى عمل فى الدولة، واختار العزلة والانزواء. (روان پور،

(١٢:ش:١٣٦٨)

وفي ذلك العصر كان النثر الفارسي في حالة بين بين، إلا أن توجهه نحو الجانب الفني كثر وازداد. النثر في هذا العصر عموماً كان تاريخياً وفلسفة وموعظة، كما أن النثر الصوفي كان منتشراً أشد انتشاراً. والنموذج الكامل لنثر هذا العصر من ناحية الخصائص الأسلوبية هو مدونات بونصر مشكان وتلميذه أبي الفضل البيهقي. ومن جانب آخر فإنّ النثر الفارسي في هذا العصر وخلافاً لنثر العصر السابق كان يميل إلى الإطناب، والعبارة المفصلة والجمل الطويلة، وهذا الأمر موجود تماماً في نثر بونصر والبيهقي أيضاً. وقد كان هذا الإطناب بسبب حبّ التوصيف وتجسيم المناظر. و... عمل البيهقي هذا ليس تقليداً صرفاً، بل الإبداع نقل عمله المذكور من التقليد إلى أسلوب رفيع. (حسيني كازروني، ١٣٨٤ش: ٣١-٣٤)

واستخدام الآيات والأحاديث باعتبارهما للتمثيل كان رائجاً في هذا العصر، إلا أنه راعى جانب الاعتدال، واجتنب الإفراط كالعصور التي تلتها. (حلي، ١٣٨١ش: ١٣٤) ويتمثل تأثر النثر الفارسي بالنثر العربي في هذا العصر في ثلاثة جوانب: ١. دخول مفردات عربية جديدة ليس لها وجود في العهد الساماني. ٢. استعمال التنوين العربي. ٣. استخدام جمل عربية في بداية الكلام من دون قصد وتقليد صياغة الجمل العربية. وهذه الخصائص واضحة في نثر البيهقي تماماً وفي العصور اللاحقة شاعت بشكل أوسع. (المصدر نفسه: ١٥٧-١٥٩)

موضوع التعامل بين اللغات وأثر كلّ منها في الآخر بحث ثقافي هام ومجال للتحقيق في علم اللغة وتاريخها. (باكيزه خو، ١٣٨٣ش: ٧٢) ويرى البعض أن أحد أسباب تبدل اللغة هو هذا التأثير المتبادل بين اللغات. (صفوي، ١٣٦٧ش: ١٩) يقول أحد الدارسين: «إنّ تأثير لغة على أخرى له ثلاث حالات؛ الأولى: أن تكون اللغتان إلى جانب بعضهما وكلّ منهما يستعمل من قبل الناطقين بهما ولا تُضيع أي منهما. الثاني: أن تتغلب لغة قوم بهاجرون إلى منطقة أخرى على اللغة الأصلية لهذه المنطقة وتمحوها. وفي هذه الحالة فإنّ اللغة الزائلة يقال لها القشر الأسفل. الثالثة: أن يفقد القوم المهاجرون لغتهم ويتخذوا اللغة الأصلية للمنطقة الجديدة. وفي هذه الحالة يقال للغة القوم المهاجرين التي زالت

وتركت أثرا فى القوم الأصليين القشر الأعلى. (صادقى، ١٣٨٦ش: ١-٤)
موضوع اللغتين الفارسية والعربية قد أدت إلى دراسات علمية ومناقشات اجتماعية مختلفة فى إيران. إن اللغتين الفارسية والعربية لم يكن أى منهما من القشر الأسفل، وإنما ظلنا لقرون إلى جنب بعضهما ومتجاورتين، ومع أنهما نشأتا من أصلين مختلفين فإنهما على مر التاريخ كان بينهما تعامل جد وثيق بسبب العلاقة المستمرة بين الإيرانيين والعرب، وبالتالي فإن التأثير والتأثر بين اللغتين خلف آثارا متبادلة لإنشاهدها فى سائر اللغات العالمية.

يقول الدكتور آذرتاش آذرنوش بشأن الصراع والمواجهة القديمة بين اللغتين العربية والفارسية: «مثل اللغتين العربية والفارسية مثل متقاربين، إلا أن هذا التقارب لا ينتج دائما عن الصداقة بين اللغتين ولكن شيئا منه نتيجة للصراعات اللغوية مصحوبة بالعوامل الذاتية للغة. منذ البداية كان بين اللغتين تنازع ومواجهة، إلا أن هناك أمرا مسلما به هو أن هاتين اللغتين تكمل كل منهما الأخرى إلى حد كبير وتساعداه. فالمعونة التى صارت للغة العربية كانت بمستوى معقول، فالعرب كانوا يحتاجون إلى شىء من المفردات الحضارية والفلسفية ومصطلحات النجوم والطب... حيث استعاروها من اللغة الفارسية، فبدلوا المفردات وأعطوها لونا وصبغة عربية، وأزالوا قالبها المورفولوجى كليا وصبوها فى قالب صرفى عربى، وأحيانا أبدوا تغييرات فى معانيها. وعليه فإن ما يقارب ٢٥٠٠ مفردة فارسية وجدت طريقها إلى اللغة العربية. وكذلك الحال بالنسبة للعربية. ففى القرن الثانى والثالث والرابع زودتنا العربية بعدد كبير من المفردات، وهو أمر حسن؛ فقد غنيت اللغة الفارسية بها... وما زلنا نستعملها.» (آذرنوش، ١٣٨٦ش: ١٨؛ راجع أيضا: آذرنوش، ١٣٧٤ش: ٨٧-٩١)

إن اللغات الحية فى العالم المعاصر تدرج تحت عدة فئات لغوية، منها فصيلة اللغات الهندية-الأوروبية وهى فصيلة كبيرة. وتقسّم هذه اللغات إلى فروع أصغر إحداها لغات الهند واللغات الإيرانية، وهذا الفرع يشمل اللغة الهندية والإيرانية. (امام شوشترى، ١٣٤٧ش: ١٧)

وقد مرّت تحولات وتغييرات على اللغات الإيرانية فى العصور المختلفة؛ فمثلا جميع

هذه اللغات كانت في القديم تركيبية، إلا أنها تحولت تدريجياً واتخذت لها شكلاً تحليلياً... وفي العهد الجديد فإن ما هو موجود من اللغات الإيرانية - قل أو أكثر - تعتبر تحليلية تماماً. (راجع: صفوى، ١٣٦٧ش: ١٩)

قصة اللغة العربية

اللغة العربية من فصيلة اللغات السامية، تلك المجموعة التي عُرفت في البداية بعنوان اللغات الشرقية. وأول من أطلق عليها مصطلح اللغات السامية هو المؤرخ والعالم اللغوي الألماني الشهير آغوست لودويك إشلوزر، فقد كان يرى أن الأقوام القاطنين في بين النهرين حتى العربية السعودية والبحر المتوسط والفرات هم من أبناء سام بن نوح. (آذرنوش، ١٣٥٤ش: ١٥٠)

وهناك اختلاف بشأن الموطن الأصلي للأقوام الساميين؛ إلا أن أكثر الباحثين يعتبرون أرضهم الأصلية هي السعودية والربع الخالي، وذلك لأن اللغة العربية احتفظت بالخصائص الأصلية لهجات السامية أكثر من سائر اللغات. (زيدان، ١٩٩٢م: ٣٨)

ومن الخصائص المهمة والمشاركة للغات السامية كون أصل الكلمات ثلاثة أحرف، فالعرب يصوغون حتى الكلمات المعربة من ثلاثة أحرف، فالصوامت في هذه اللغات ثابتة ومعنى الكلمات يرتبط بالمصوتات. (ياكيزه خو، ١٣٨٣ش: ٧٤)، كما توجد مجموعة من الأوزان المزيده يدل كل منها على معنى خاص، الأمر الذي لإنشاهده في اللغات الأخرى.

تقسم اللغات السامية إلى مجموعات بينها اختلافات. واللغة الآرامية إحدى هذه اللغات؛ كان يستخدمها البدو الآراميون في شمال السعودية حتى نواحي شمال بين النهرين. وكذلك في الآشورية، والكنعانية، والعبرية، والفينيقية...؛ فإن البنية الأصلية للفعل على صورة واحدة. والتقسيم الزماني للفعل لم يتكامل وإنما كان يقسم للماضي والمضارع فحسب. في هذه اللغات يوجد المذكر والمؤنث فحسب ولا أثر للخنثى، حيث كانت بعض اللغات القديمة الهندية والأوربية يشاهد فيها ذلك. لقد اعتبروا أن العربية الفصحى والتي هي "العربية الباقية" في مقابل "العربية البائدة" هي نفسها لهجة

قريش والحجاز مع قليل من التسامح والتغيير. والدليل على ذلك أن قالب ألفاظ القرآن والأشعار الجاهلية يعتبرونها بتلك اللهجة، كما يعتقدون أن هذه اللهجة أغنى اللهجات في السعودية والطفها وأكثرها أصالة. إن العربية الفصحى «قد تكامل نضجها تقريباً واستعملت من شمال الجزيرة العربية إلى جنوبها إلى جوار آلاف لهجات أخرى. وعلى رغم الدراسات الكثيرة فإنه ما زال ينبغي النظر في مثل هذه الظاهرة العجيبة.» (آذرنوش، ١٣٥٤ش: ١٧٢-١٧٥)

أثر اللغة العربية في اللغة الفارسية

اللغة الفارسية هي ثانية لغات العالم الإسلامي بعد العربية، ولها أعظم ارتباط على مدى التاريخ باللغة العربية. وكان للإيرانيين قبل الإسلام علاقات سياسية وثقافية وتجارية وحتى دينية مع العرب، الأمر الذي ترك آثاراً كبيرة في اللغة والثقافة العربية؛ ولكن بعد انتشار الإسلام في إيران فإن الإيرانيين اتخذوا لغة الدين الإسلامي.

إن الكتب التاريخية تحكى أن الإيرانيين لم يقاوموا هذه اللغة بل إنهم كانوا ينظرون إليها بقداسة، وذلك لأنها كانت لغة الإسلام والقرآن، وقد تعلموها وأخذوا يروجون لها. لقد كانت اللغة العربية في القرون الثلاثة الأولى بعد فتح إيران هي اللغة العلمية والدينية والرسمية في هذا البلد. ومنذ القرن الثالث الهجري فصاعداً بدأ الإيرانيون ينشدون الشعر باللغة الفارسية الدرية (التي كانت رائجة في إيران بين القرنين الثالث والسادس الهجري)، كما أنهم منذ القرن الرابع بدأوا بتأليف الكتب وترجمة القرآن إلى هذه اللغة إلا أن اللغة العربية بقيت إلى القرن الخامس هي اللغة الرسمية في إيران. وحتى القرن الخامس وأوائل القرن السادس فإن بعض العلماء كانوا ما زالوا يرجحون أن يدونوا كتبهم ومصنفاتهم المهمة باللغة العربية، مثل سيبويه وابن المقفع. (چراغی، ١٣٧١ش: ٣٩)

والآثار التي كتبها العلماء الإيرانيون في المجالات المختلفة باللغة العربية ما زالت تعتبر مراجع ومصادر من الدرجة الأولى. وبعض المؤلفين والأدباء والعلماء من أهل اللغة الفارسية والذين كتبوا آثاراً خالدة وفريدة من نوعها وقعوا تحت التأثير الشديد

للغة العربية. ومن جملة آثارهم: تاريخ البيهقي، جهانگشای جوينی، گلستان سعدي، أشعار المولوی، أشعار حافظ، وغيرها ممّا لا يكون فهمها ممكنا من دون معرفة معاني الكلمات العربية وفي كثير من المواضع من دون معرفة بُنية الجمل والعبارات العربية. (خواند مير، ١٣٥٥ش: ٧٨)

وفي عهد السّامانيين كان استعمال هذه المفردات بين ٥-١٠% ثم ازدادت المفردات العربية حتّى بلغت في النصف التّاني من القرن الرّابع والنّصف الأوّل من القرن الخامس ٥٠%، وفي منتصف القرن الخامس والقرن السادس والسّابع والثّامن بلغت ٨٠%. (فرشيد ورد، ١٣٧٣ش: ٢٣؛ راجع أيضا: بهار، ١٣٦٩ش: ٨١/٥٧)

وعلاوة على المفردات العربية فإنّ الكثير من الجمل والعبارات والقواعد التّحوية العربية أيضا لها استعمالها في اللغة الفارسية إلى يومنا هذا، مثل مطابقة الصفة للموصوف من حيث التذكير والتأنيث وهي إحدى خصائص اللغة العربية وكذلك اسم الفاعل، واسم المفعول واسم الزّمان والمكان، والصفة المشبّهة وأمثلة المبالغة، وأنواع المصدر، مصدر النوع والمرّة، والمصدر الميمي، واسم المصدر، والمصدر الصّناعي و... استخدمت كثيراً في اللّغة الفارسية، وكذلك الأوزان المختلفة للمزيد الثلاثي مثل: المفاعلة والتّفعل والتفاعل والانفعال والاستفعال والتفعل و...

وكذلك فإنّ أنواع المجموع العربية شاعت في اللّغة الفارسية. إضافة إلى ذلك فإنّ بعض الكلمات الفارسية جمعت على أساس قواعد الجمع العربي؛ ومرد ذلك أن الكثير من الكلمات العربية في اللغة الفارسية عربي الأصل، وهذه الكلمات تستعمل في اللغة العربية بمعنى آخر أو مثل هذه المفردات لاتستعمل في العربية أصلا.

يعتبر بعض المتخصّصين في اللّغة الفارسية وآدابها أنّ تداخل اللغتين العربية والفارسية ودخول كلمات عربية إلى اللّغة الفارسية ظاهرة سلبية؛ إلا أنّ فردوسی الذي يعتبر كتابه "شاهنامه" من المصادر الفارسية الأصلية يرى خلاف ذلك؛ فلم يكن ليوافق اللّغة العربية وتداخلها مع اللّغة الفارسية. وهو يقبل هذه الحقيقة وهي أنّ كثيرا من الكلمات العربية صارت جزءاً من اللّغة الفارسية وزادت من قدرتها. وعلى سبيل المثال ففي "شاهنامه" استعملت ٧٠٦ مفردة عربية تكررت ٨٩٣٧ مرّة في الكتاب.

(رازی، ١٣٦٦ش: ٤١-٤٤)

وفي وقتنا الحاضر أيضاً هناك كلمات كثيرة جداً أخذت من اللغة العربية، وهي تستعمل في الكتب والحوارات اليومية في الإذاعة والتلفزيون و... بحيث يدون قاموس فيه مفردات عربية دخلت في اللغة الفارسية المعاصرة ويصل عددها إلى ما يقارب سبعة آلاف مفردة. (وكيلي، ١٣٧٧ش: ١٣٤)

وقد تستخدم أحياناً جمل في اللغة الفارسية جميع كلماتها عربية، مثل: "استعمال دخانيات اكيداً ممنوع" (= التدخين ممنوع معنا باتا) و"ورود مطلقاً ممنوع" (= الدخول محظور على الإطلاق). أو تكون هناك نسبة عالية من الكلمات العربية في جملة واحدة؛ إلا أن هذه المسألة صارت عادية بحيث إن القارئ أو المتكلم لا يلتفت إلى ذلك أبداً، بل حتى الأميين يفهمون معنى الكلمات والمصطلحات العربية.

وبشكل عام فإن تأثير العربية في الفارسية لا يقتصر على دخول المفردات العربية وأثر بنية ونظام اللغة العربية في الفارسية، بل كان لأفكار العرب واعتقاداتهم وفلسفتهم وأساليبهم أيضاً تأثير على الناطقين بالفارسية؛ ولكن ينبغي أن نذكر هنا أن تأثير اللغة لا ينحصر في التأثير البنائي والصرفي والنحوي، وإنما يتجاوز ذلك إلى الثقافي والاجتماعي والسياسي و...

بالنظر إلى ما وضحنا آنفاً فإنه يمكن اعتبار كتاب تاريخ البيهقي: ١. بيانا للأخبار والكتب المختلفة وهو يدل على مطالعات البيهقي وقراءاته الكثيرة. ٢. إعداد مجموعة من الرسائل وكتابة وقائع وحوادث عصره، مثل رسالة حشم تكيناباد إلى مسعود. وقد كانت هذه الرسالة حول أركان حكومة الحمودي وقد وردت في بداية المجلد الخامس. ٣. بيان الآراء والمشاهدات الشخصية. ٤. حفظ الأمانة: يقول البيهقي: في التواريخ الأخرى يتساهلون في نقل الحوادث ويكتفون بإشارات وأما بالنسبة لي فإنني أريد إيصال صوت التاريخ وجميع زواياه وخباياه إلى الناس لكي لا يبقى شيء مخفياً عليهم. (بيهقي، ١٣٧٣ش: ١٠) ٥. ذكر الأشعار الفارسية والعربية. ٦. ذكر الحكايات والقصص. ٧. إيراده للآيات والأحاديث في متن الكتاب.

والخاصية المهمة لهذا الكتاب هو أسلوب الكتابة المتوسطة (بين بين) يعني الحد

الوسط للنثر البسيط في عهد السامانيين والنثر الفني في عهد السلجوقيين والذي استخدم فيه كثيراً علم البلاغة والبيان والترتيب الأدبي العربي ومن القواعد ما يلي:

١. الإطناب: استطاع البيهقي أن يكتب تفاصيل المطالب ويبين المطلوب والمقصود بشكل جيد طبقاً لصنعة الإطناب.

٢. التّوصيف: قبل البيهقي كان مراد الكاتب أن يوفي الموضوع حقه في إيجاز بالغ، ولم يكن مراده التّوصيف والتّعريف أو كما هو معروف اليوم «بيان الحال وخلق الصّورة بطريقة شاعرية.» وخلافاً لذلك فإنّ البيهقي سعى لإيضاح المطلب كاملاً وبيان الحادثة بحيث يجعلها أمام القارئ مشيراً إلى جميع أجزائها وجزئياتها.

٣. الاستشهاد والتّمثّل: في النثر القديم كان ذكر المطالب الخارجية من قبيل الاستشهاد بالتّظم الفارسي والعربي والاستدلال بالآيات والتّمثيل نادراً جداً؛ كما في تاريخ البلعمي وترجمة تفسير الطّبري حيث لم يذكر شعر فيهما على سبيل الاستشهاد. ومن هذا القبيل أيضاً الكتب التّالية: "حدود العالم والأبنية"، "تاريخ سيستان"، "تاريخ كرديزي" حيث لم يذكر فيها شاهد شعري سوى الأشعار المتعلّقة بالتّاريخ وهي جزء من التّاريخ؛ إلا أن تاريخ البيهقي أورد حكايات وتمثيلات وأشعاراً تاريخية ولتكون شاهدة على المدعى وزيادة في النصح وتقديم العبر ولافتتاح الأمثال وذكر الشّواهد الشّعريّة، وتقليد النثر الفنّي عند العرب الذي اخترع في القرن الرّابع في بغداد ثمّ انتشر في خراسان بعد قرن.

في تاريخ البيهقي يشاهد بوضوح تقليد النثر العربي، ويتجلى ذلك في:

- وجود مفردات وردت بصورة الجمع في العربية، مثل: غرباء، خدم، شرايط، حدود

و... .

- مجيء كلمات منوّنة بأسلوب القواعد العربية.

- إرسال المثل أو ذكر الحديث من قبيل غالب العناوين.

- طريقة تركيب الجملة بأسلوب خاص يختصّ بالعرب، وفي اللغة البهلوية نادر جداً

وفي النثر الساماني معدوم تقريباً.

- ذكر المفعول بشكل صريح قبل الفعل والفاعل.

- تقديم الفعل في الجملة على الفاعل والمفعول. ومع أن هذا قد يشاهد في اللغة البهلوية أحياناً، إلا أنه في النثر الساماني ليس مألوفاً، ولا شك أن مؤسسى الأسلوب الجديد أخذوه من اللغة العربية، فهذا الأسلوب أيضاً لا يوجد في النثر البلعمي وأمثاله.

- الإتيان بالفعل الماضى والمضارع المبنيين للمجهول، ويبدو أن ذلك تقليد للغة العربية؛ ففى البيهقى نلاحظ مجيء الفعل بصيغة المبني للمجهول مع الفعل المساعد "آمدن".

- الإتيان بالموازنة والسجع.

- استعمال المفعول المطلق تقليداً للغة العربية.

- حذف الأفعال من الجملة بقرينة فعل آخر أو في جملة معطوفة عليها.

- لأجل الاحتراز من التكرار وهو تقليد في الكتابة القديمة، فإنه ي حذف أحياناً قسم من الجملة.

- التجديد في استعمال الأفعال؛ فلا توجد في تاريخ البيهقى صفحة لم يأت فيها وجه أخبارى بدل الالتزامى.

- الإتيان بفعل ماض بدل المضارع للتوكيد وتحقيق المعنى.

- استعمال الأفعال الماضية بصيغتها الوصفية.

- استخدام المصدر المرخّم. (شميسا، ١٣٧٨ش: ٤٨-٥٠؛ راجع أيضاً: روان پور،

١٣٦٨ش: ١٦-١٧)

والسؤال هو: لماذا كانت اللغة العربية مؤثرة إلى هذا الحد في أسلوب كتابة ولغة

البيهقى؟ ويمكننا في الجواب ذكر ما يلي:

١. المظاهر السياسية والثقافية والاجتماعية ووجود الدواوين المختلفة تبعا للدول العربية بغرض تنظيم برامج الدولة والقيادة. ٢. حضور كتاب "ديوان الرسائل" والذين يجب أن يكونوا ماهرين في اللغة العربية ليتمكنوا من أن يعكسوا حال الدولة، وقد كان من شروط الكتابة المعرفة بالعربية وحسن الخط. ٣. الدين والشريعة السائدة في زمن البيهقى. ٤. اعتناق الدين وانتشاره في المجتمع والذى يدل على دخول العقائد والسنن الإسلامية وانتشارها في المجتمع وبالتالي انتشار اللغة العربية. ٥. خضوع الملوك

الغزنويين لخلفاء بغداد. ٦. انتشار الأشعار العربية التي كانت تحوى مضامين أخلاقية ودينية. ٧. براعة البيهقي التامة فى اللغة العربية وآدابها وتقليده لأسلوب أستاذه الماهر بونصر مشكان. ٨. اختلاط الخراسانيين بالعراقيين. ٩. التزام البيهقي بالأمور الأخلاقية وترويج الأخلاق فى وسط المجتمع وكما يعبر هو عن ذلك "تقييد بأدب النفس". ١٠. تغيير رسائل وخطابات ديوان الرسائل من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية والكتابة العربية والتي راجت بمجىء الخواجة أحمد حسن الميمندى وغيره مثل بونصر مشكان وبوسهل زوزنى. ١١. حب السلطان مسعود والسلطان محمد الغزنوى للغة العربية، ونظراً للخصائص والأدلة المذكورة يمكن دراسة تأثير اللغة العربية وآدابها على لغة كتابة تاريخ البيهقي فى ما يلى:

أ- المفردات: فى تاريخ البيهقي وكذلك مراسلات بونصر مشكان مفردات عربية أكثر والباقي كلمات فارسية، والمفردات العربية قائمة على قاعدتها القديمة تلك؛ إلا أن كتاب البيهقي مجموعة من المفردات الجديدة الخارجة من هذه الدائرة ومن المفردات التي دخلت بواسطة الأدباء وكتاب الرسائل وقد دخلت اللغة الفارسية تقليدا للعرب. (حسينى كازرونى، ١٣٨٤ش: ٢٤)

وبالتدقيق فى أسلوب كتابة تاريخ البيهقي فإننا نلاحظ أن اختيار الكلمات الفارسية أو العربية إنما يتم بشرط الفصاحة. ولم يستخدم البيهقي فى تركيب جملة بقدر الإمكان سوى الألفاظ الصحيحة والسلسة والمفردات السهلة والقريبة إلى الفهم. (المصدر نفسه: ٥٨)

وبشكل عام فإن أسلوب استعمال المفردات والتراكيب العربية فى تاريخ البيهقي كما يلى:

- يحاول البيهقي أن يستعمل مفردات فارسية أكثر؛ إلا أن الضرورة قد تضطره إلى استخدام كثير من المفردات العربية أيضاً فى كلامه. نحو: ملطفة، مشافهة، خريطة، باغى، ثغر، عاصى، عشوة، هزيمة، إعزاء، معد، و... .

- يستعمل فى بعض الأحيان مصادر مؤلفة من العربية والفارسية، مثل: فصل شدن، خالى كردن، تعليق كردن، صفرا جنبيدن، إنهاء كردن.

- المفردات المتداولة في التراكيب الدُعائية أو الأمثال أو الآيات والأحاديث والأشعار العربية والتي ليس عددها في تاريخ البيهقي قليلاً. (بيهقي، ١٣٨٠ش: ١٩)

- استخدام المفردات الشرعية، والدينية، والفلسفية، والأخلاقية، والأدبية والتي دخلت الفارسية بدخول الإسلام إلى إيران وانتصار العرب على الإيرانيين، ولم يسجل آنذاك تسلطهم السياسي على إيران فحسب، بل ترك تأثيرهم على حياة الإيرانيين على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. والبيهقي أيضاً مجازاة لسائر الكتاب وبسبب أفكاره الإسلامية وعقائده وكذلك مهنته بدأ في تعلم هذه اللغة، ومن خلال نظرة سريعة يتضح تأثير هذه اللغة في جميع آثاره ولا سيما في تاريخه. يبدو أن استخدام لغة الديوان في عهد البيهقي جاء مطابقاً لدواوين دار الخلافة الإسلامية في بغداد، وذلك لأن ملوك إيران كانوا يوقعون على وثيقة البيعة والتعهد للخلفاء ويعتبر الوالي نفسه مولى ونصيراً لأmir المؤمنين، وفي المقابل فإنهم يمنحونه ألقاباً عالية، وكان البيهقي يستخدم أكثر هذه المفردات، مثل: ديوان الاستيفاء^١، ديوان الرسائل^٢، ديوان العرض^٣، ديوان القضاء، ديوان المظالم^٤، ديوان الإشراف^٥.

أ. استخدام الكنى والأنساب (الألقاب): وكان يستخدمها البيهقي كرأراً تقليدياً لأسلوب كتاب اللغة العربية، ويذكرها أحياناً بصورة مخففة، مثل: بوسهل، بوتام، بوحنيفة،

١. ديوان الاستيفاء مالية ويعتبر ثاني ديوان من حيث الأهمية في دولة الغزنويين، وكان مسؤولاً عن الدخل والنفقات في المملكة، وكان يدار من قبل المستوفين وهم يشرفون على دخل ونفقات المملكة. وفي هذا الديوان أيضاً يتم البت في الأمور المالية.

٢. ديوان الرسائل هو ثالث ديوان ذواهمية في دولة الغزنويين ويأتي مقام صاحب ديوان الرسائل بعد صاحب ديوان الاستيفاء. وكان هذا الديوان مركزاً للرسائل السلطانية التي تكتب وفيه تستخدم المصطلحات والمفردات المتداولة في هذا المجال، مثل: الخليفة، الكاتب، المترجم، المحرر وصاحب ديوان الرسائل.

٣. ديوان العرض وهو خامس ديوان من حيث الأهمية في العهد السلجوقي، وهو مسؤول عن متابعة الأمور العسكرية في السلم والحرب.

٤. ديوان المظالم وهو ديوان يتابع الأعمال الظالمة للولاة ورجال الدولة ويشرف عليه الملك وأول من وضعه الخلفاء العباسيون وحتى زمان مقتدر فإن الخليفة نفسه كان يتابع أموره.

٥. وهو بمثابة دائرة التفتيش ويسمى صاحبه «مشرف» وله عدة مساعدين وأشخاص يرسلهم إلى الولايات للتفتيش. ويتم تعيين المشرفين من قبل الوزير أو صاحب ديوان الإشراف أو من قبل السلطان والأمير.

بوالقاسم سيمجور، وأحياناً أخرى بصورة كاملة، مثل: أوبوكر، أبوالحسن، أبوالقاسم.
 ب. الإتيان بالمشتقات: إذا بحثنا في كتاب البيهقي فيمكننا أن نشاهد كلمات من قبيل: تضريب، معتمد، مواضعة، جمال، رعونت، مخاطبة، مكاشفة، مهد، مشافهة، استصواب، استحقاق، و... . ويستخدم البيهقي أحياناً فنّه الخاص ومن خلال إضافة اللواحق إلى المشتقات ينشئ تركيبات جديدة،^١ تعادل وتساوى الأصل. وهذا يدل على أنه استخدم المفردات العربية في اللغة الفارسية.
 ت. استخدام أصول الجمع في العربية: كاستخدام "أت"، و"ون-ين" واستعمال جموع التكسير العربية.

ث. استخدام المصادر الثلاثية المزيدة:

ج. استخدام الكلمات المنوَّنة والتنوين من خصائص المفردات العربية ولكن بعض هذه الكلمات المنوَّنة دخلت اللغة الفارسية. ومن بين أقسام التنوين فإن الأغلب هي تنوين النصب التي دخلت مع الكلمات العربية إلى اللغة الفارسية.

ح. استخدام النعوت والعناوين: إن أهمية الألقاب والعناوين في المكاتبات والمخاطبات تحظى بأهمية كبيرة، وعلى الكاتب أن يدقق في ذلك كثيراً، وذلك لأن الألقاب تدل على الاحترام والتكريم، ويصدر الخليفة أو السلطان هذه الألقاب وهي تبين الرتبة الإدارية أو العلمية أو المنصب الحكومي للشخص.

خ. الجمل الاعتراضية: وهذا النوع من الجمل يتضمن عادة دعاء للمخاطب أو عليه أو تمنياً أو توضيحاً للمفهوم الأصلي للجمله.

د. الكلمات والمصطلحات المركبة:^٢ وهي في تاريخ البيهقي تابعة للغة المعيار.

ذ. الاستشهاد بالآيات والرّوايات والأحاديث: من الأمور اللافتة للنظر في آثار البيهقي إيراده للآيات والأحاديث وأقوال العظماء. ونظراً لانتشار الثقافة الإسلامية

١. كاهل وار، محتشم تر، مهذب تر، و... .

٢. استطلاع رأى (كسب آگاهی)، تنوّق كردن (نيك بنگريستن چيزي)، ازل الآزال (آغاز آغاها)، أيمان البيعة (سوگندهاي بيعت كردن)، بجلی خواستن (طلب رضایت وحلال كردن)، بر عميا (كوروران)، بر مغامضه (ناگهانی)، به مشافهة (به طور شفاهی)، بياض كردن (گاکنويس كردن)، بيت المال صلتی (بودجه پرداخت جايزه).

واعتناق الإيرانيين للدين الإسلامي فإن الإتيان بالآيات والأحاديث من الأقوال والكتابة بشكل عام يعد وسيلة لجذب المخاطب، وإقناعه.

ر. الأشعار وضرب المثل: إن ذكر الأشعار^١ والأمثال العربية^٢ هو سبب آخر من أسباب المتعة في كتاب البيهقي. فإن ذكر الحوادث التاريخية مصحوبة بالأشعار وضرب الأمثال وذكر النصائح يؤدي إلى صيرورة الموضوع التاريخي أكثر جاذبية. ويشاهد في عصر المؤلف كثرة الاستناد إلى الأشعار العربية. زاد البيهقي كتابه روعة وجمالا من خلال الاستخدام المناسب للأشعار والأمثال.

وعلاوة على استعارة تاريخ البيهقي للمفردات والمصطلحات العربية فإنه استخدم أيضاً أساليب كتابة المتون العربية، وإليك بعضاً منها:

١. يأتي أحيانا عند بيان الحكايات والمواعظ بآية الاسترجاع ونعني بها «إنا لله وإنا إليه راجعون».

٢. طبقاً لأسلوب الكتابة العربي فإن البيهقي أحيانا يأتي بكلمة "الله الله" للتحذير والتنبية وإثارة الاهتمام.

٣. إن أسلوب تركيب الجملة في تاريخ البيهقي عربي، مثل ذكر المفعول الصريح قبل الفعل والفاعل. فالإتيان بجملة الاستفتاح بصورة كاملة في بداية الرسائل وأحيانا مختصرة (محففة) للابتداء بالكلام.

٤. استخدام تعابير من أمثال: العياذ بالله، معاذ بالله، فالعياذ بالله، نعوذ بالله، و... للاستعاذة بالله في الكتاب وفي إطار جعل اعتراضية.

٥. الإتيان بعناوين الأبواب والفصول في الكتاب باللغة العربية، مثل: ذكر خروج الأمير مسعود، رضى الله عنه من بلخ إلى غزنین.

٦. استخدام عبارة الحوقلة «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وكذلك سبحان الله أو سبحان الله العظيم للتعجب أو بيان البلاء.

٧. جميع التواريخ المذكورة في كتاب تاريخ البيهقي إنما هي بالشهور القمرية.

١. استشهد البيهقي بالأشعار في أكثر من ٦٢ موضعا.

٢. استخدم البيهقي الأمثال في ١٩ موضعا من كتابه.

٨. رسالة الهزيمة:١ من الآداب والعادات التي انتقلت من العرب إلى الإيرانيين وأشار إليها البيهقي أيضاً هي كتابة رسالة الهزيمة أو طلب المساعدة من القوم والقبائل المجاورة.

النتيجة

الفتح العربي لإيران واعتناق الإيرانيين للدين الجديد مهد لدخول كثير من المفردات والمصطلحات العربية - بما فيها المصطلحات الشرعية والدينية - إلى اللغة الفارسية. وكان المثقفون والعلماء الإيرانيون يعتبرون في معرفة اللغة العربية وإجادتها نوعاً من الفضل والعلم والتباهي، وخدمة للدين الإسلامي الحنيف، وتقرباً من أرباب الجاه والسلطان؛ وتحقيقاً لذلك كله فقد ظهر لدى الشعب الإيراني المسلم اهتمام بالغ بتعلم اللغة العربية وآدابها.

إنّ التغييرات الحاصلة في ديوان الرسائل، وكتابة الرسائل الحكومية المهمة باللغة الفارسية والعربية، وأخيراً تغيير لغة الدواوين على يد الخواجة حسن الميمندى إلى اللغة العربية في عهد البيهقي، هي من نتائج هذا التوجه الجديد، وهذا أمر مشهود وواضح تماماً في كتب القرن الخامس والسادس ولا سيما في كتاب تاريخ البيهقي. وتبعاً للغة فإنّ الصرف والنحو العربيين أيضاً قد أثرا في كتابة تاريخ البيهقي، ونلاحظ ذلك في تقديم الأفعال، وإنشاء الجمل الحالية، ومطابقة الصفة للموصوف و...

وأشرنا أن النثر الذي استخدمه البيهقي في كتابته نثر متوسط (بين بين)، ومن خصوصياته البارزة: الإطناب، الاستشهاد، التمثيل بالآيات والأحاديث، استعمال المفردات العربية، استخدام السجع والموازنة والتوصيف (طبعاً بشكل محسوس وقليل) و...

وإلى جانب استخدام البيهقي للمفردات والمصطلحات العربية فعلينا أن ندعن أن

١. و من جملتها رسالة الأمير مسعود إلى أرسلان خان من خانات تركستان وطلب المساعدة منه عندما هجم جيش المسعودي. وإذا قرأنا الرسالة من البداية إلى النهاية نرى بوضوح تأثرها باللغة العربية وآدابها. فالبداية ببسم الله الرحمن الرحيم ثم المقدمة والخطبة والآية وأخيراً خاتمة الرسالة بالأسلوب العربي.

البیهقی لا یصر علی استخدام هذه المفردات، و إنّما یتوجّه للسلاسة والبلاغة ولغة المعیار؛ و یظهر أنّه یرى فی مراعاة قواعد اللغة الفارسیة وحدودها رعاية للغة المعیار. و یبدو أنّ البیهقی یعتبر الفصاحة هی الشرط فی اختیار الکلمات الفارسیة والعربیة؛ وهو فی ترکیب الجمل یرتفع - ما أمکنه ذلك - الألفاظ الصحیحة والسلسلة والقریبة من الفهم. وهو - فضلا عن اتباعه لأصول الفصاحة والبلاغة - کان ینظر إلى شرط الصواب والاستقامة فی أداء أى نوع من المعانی ولم یجز التخلّف عن الصواب.

وفیما یخص بتأثیر تاریخ البیهقی باللغات الأخرى، فنقول علی الرغم من أنّ الغزنویین کانوا أتراکاً إلا أنّ تأثیر هذا الکتاب بالمفردات العربیة أكثر بكثير من تأثیره باللغات التریکیة والصینیة أو المغولیة.

المصادر والمراجع

- آذرنوش، آذرتاش. ۱۳۵۴ش. راههای نفوذ فارسی در فرهنگ وزبان عرب جاهلی. تهران: انتشارات توس.
- آذرنوش، آذرتاش. ۱۳۷۴ش. راههای نفوذ زبان فارسی در فرهنگ وزبان عربی. تهران: انتشارات پرتو.
- اشرف صادقی، علی. ۱۳۸۶ش. «تأثیر نظام آوایی عربی در نظام آوایی فارسی». خبرگزاری فارس. صفحه فرهنگی وحوادث. شماره ۸۶۰۳۲۸۰۰۹۵.
- امام شوشتری، محمد علی. ۱۳۴۷ش. فرهنگ واژگان فارسی در زبان عربی. تهران: انتشارات خوارزمی.
- بهار، محمد تقی. ۱۳۶۹ش. سبک شناسی. تهران: امیر کبیر.
- بیهقی، أبو الفضل محمد بن حسین. ۱۳۸۰ش. تاریخ بیهقی. بر اساس نسخه دکتر فیاض وادیب نیشابوری ودکتر غنی. تهران: نشر هیرمند.
- بیهقی، أبو الفضل. ۱۳۷۳ش. تاریخ بیهقی. به تصحیح دکتر خطیب رهبر. تهران: انتشارات مهتاب.
- بیهقی، أبو الفضل. ۱۳۸۳ش. تاریخ بیهقی. تصحیح دکتر علی أكبر فیاض. مشهد: دانشگاه فردوسی.
- پاکیزه خو، طوبی. ۱۳۸۳ش. «رابطه متقابل عربی و فارسی». کیهان فرهنگی. شماره ۲۱۹.
- چراغی، علی. ۱۳۷۱ش. «آموزش زبان عربی ضرورتی برای زبان فارسی». مجله تطویر تعلیم المعارف الإسلامیة. تهران. شماره ۳۴.
- حسینی کازرونی، أحمد. ۱۳۸۴ش. معجم تاریخ بیهقی. تهران: انتشارات زوار.

- حلی، علی أصغر. ١٣٨١ش. تأثیر قرآن وحديث در ادبیات فارسی. تهران: نشر سمت.
- خواند میر، غیاث الدین بن همام الدین. ١٣٥٥ش. دستور الوزراء. تهران: نشر إقبال.
- رازی، فریده. ١٣٦٦ش. فرهنگ زبان عربی در فارسی معاصر. تهران: انتشارات مرکز.
- روان پور، نرگس. ١٣٦٨ش. گزیده تاریخ بیهقی. تهران: مرکز بنیاد.
- زیدان، جرجی. ١٩٩٢م. تاریخ آداب اللّغة العربیة. بیروت: دار ومکتبة الحیاة.
- شمیسا، سیروس. ١٣٧٨ش. مختصری در سبک شناسی. تهران: انتشارات فردوسی.
- صفوی، کوروش. ١٣٦٧ش. گزیده ای تاریخی در زبان فارسی. تهران: نشر مرکز.
- فرشید ورد، خسرو. ١٣٧٣ش. عربی در فارسی. تهران: دانشگاه تهران.
- وکیلی، نازنین. ١٣٧٧ش. «رابطه درس عربی با زبان فارسی». تهران: اولین همایش زبان عربی.
- یاحقی، محمد جعفر. ١٣٧٣ش. دیبای خسروانی. تهران: انتشارات جامی.